

الحوار مع الطواغيت
مقبرة الدعوة والدعاة

من مطبوعات جماعة الجهاد

النشرة السابعة



أُعدت بإشراف

د. أيمن الظواهري

من مطبوعات جماعة الجهاد

النشرة السابعة

الحوار مع الطواغيت

مقبرة الدعوة والدعاة

أُعدت بإشراف:

د. أيمن الظواهري

مؤسسة البشريات

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن ا لحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون}.

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالًا كثيرًا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا}.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولًا سديدًا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا}..

أما بعد؛

أيها الإخوة المسلمون: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال الله تعالى: {**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**}.

ومن المكر السيء الذي لا ينتهي مسلسله ما دأبت عليه حكومات الطواغيت الحاكمين بغير شريعة رب العالمين بمصر وغيرها من استدراج القيادات الإسلامية إلى التنازل عن مفاهيم الإسلام الأساسية خاصة فريضة الجهاد في سبيل الله باسم الحوار والتفاوض.

ومن هنا كانت هذه النشرة لتحذير المسلمين من الحوار مع الطواغيت.

وتشتمل هذه النشرة على:

الفصل الأول: في بيان كفر هؤلاء الطواغيت ووجوب جهادهم.

الفصل الأول:

في بيان كفر هؤلاء الطواغيت ووجوب جهادهم

أما كونهم كفارًا مرتدّين، فلقوله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} المائدة ٤٤، وذلك لأن ما يفعله هؤلاء هو نفس صورة سبب نزول الآية: وهو تعطيل حكم الشريعة الإلهية واختراع حكم جديد وجعله تشريعًا مُلزِمًا للناس، كما عطَّل اليهود حكم التوراة بالرجم واخترعوا تشريعًا بديلًا، وصورة سبب النزول قطعية الدخول في النص بالإجماع (الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/٢٨-٣٠). وهذا ما أشار إليه إسماعيل القاضي كما نقل ابن حجر (وقال إسماعيل القاضي في «أحكام القرآن» بعد أن حكى الخلاف في ذلك: ظاهر الآيات يدل على أن من فعل مثل ما فعلوا واخترع حكمًا يخالف به حكم الله وجعله دينًا يُعملُ به، فقد لزِمَه مثل ما لزمهم من الوعيد المذكور حاكمًا كان أو غيره) (فتح الباري ١٢٠/١٣) قلت: قوله (وجعله دينًا يُعمل به) أي جعله نظامًا مُلزِمًا للناس، فالدين -في أحد معانيه- يطلق على نظام حياة الناس حقًا كان أو باطلًا، لأن الله سمّى ما عليه الكفار من الضلال دينًا، فقال تعالى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}.

وممن أفتى بكفر هؤلاء الحكام -كفرًا بواحًا أكبر- من العلماء المعاصرين:

العلامة الشنقيطي حيث قال: (ومن هدي القرآن للتي هي أقوم -بيانه أن كل من اتبع تشريعًا غير التشريع الذي جاء به سيد ولد آدم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، فاتباعه لذلك التشريع المخالف كفرٌ بواحٌ مخرجٌ من الملّة الإسلامية)، أضواء البيان -٤٣٩/٣. وقال الشنقيطي -رحمه الله- (وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جلّ وعلا على ألسنة رسله صلى الله عليهم وسلم، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم) (أضواء البيان ٨٣/٤، ٨٤) ويُراجع أيضًا (أضواء البيان ١٦٢/٧ - ١٧٣، ٥٨٤/٧ - ٥٩٠، ٦١٤/٧).

وقال الشيخ محمد حامد الفقيه -رحمه الله- (ومثل هذا وشرّ منه من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال، ويقدمها على ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسوله -صلى

الله عليه وسلم-، فهو بلا شكّ كافر مرتد إذا أصرّ عليها ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله. ولا ينفعه أي اسم تسمّى به ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام والحجّ ونحوها...) اهـ (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ط أنصار السنة، هامش ص ٣٩٦).

وقال العلامة أحمد شاكر رحمه الله (أفيجوز -مع هذا- في شرع الله أن يُحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس عن تشريعات أوربة الوثنية الملحدة؟ بل بتشريع تدخله الأهواء والآراء الباطلة، يغيّرونه ويبدّلونه كما يشاءون -إلى أن قال- إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس. هي كفر بواح، لا خفاء فيه ولا مداورة. ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام -كائنًا من كان- في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها) (عمدة التفسير ٤/١٧٣ - ١٧٤).

وقال الشيخ محمود شاكر رحمه الله (وإذن، فلم يكن سؤالهم عما احتج به مبتدعة زماننا، من القضاء في الأموال والأعراض والدماء بقانون مخالف لشريعة أهل الإسلام، ولا في إصدار قانون مُلزِم لأهل الإسلام بالاحتكام إلى حكم غير الله في كتابه وعلى لسان نبيه -صلى الله عليه وسلم-. فهذا الفعل إعراض عن حكم الله ورغبة عن دينه وإيثار لأحكام أهل الكفر على حكم الله -سبحانه وتعالى-، وهذا الكفر لا يشكّ أحد من أهل القبلة على اختلافهم في تكفير القائل به والداعي إليه) (عمدة التفسير ٤/١٥٧).

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله مفتي السعودية السابق في رسالته (تحكيم القوانين) قال (إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد -صلى الله عليه وسلم- ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين، في الحكم به بين العالمين والرد إليه عند تنازع المتنازعين، مناقضة ومعاندة لقول الله -عزَّ وجلَّ-: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} -ثم ذكر الشيخ ابن إبراهيم أن الحكم بغير ما أنزل الله يكون كفرًا أكبر في أحوال، الخامس منها يصف واقع المسلمين وصفًا دقيقًا، فقال - (الخامس: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ومشاقة لله ولرسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية إعدادًا وإمدادًا وإرصادًا وتأصيلًا وتفريعًا وتشكيلًا وحكمًا وإلزامًا، ومراجع ومستندات، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع ومستمدات مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، فلهذه المحاكم مراجع هي: القانون الملفّق من شرائع شتّى، وقوانين كثيرة، كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي والقانون البريطاني،

وغيرها من القوانين، من مذاهب بعض البدعيين والمنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك. فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكملة مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسراب إثر أسراب، يحكم حاكمها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب، من أحكام ذلك القانون وتلزمهم به وتقرّه معليه، وتحتّمه عليهم. فأي كفر فوق هذا الكفر وأي مناقضة للشهادة بأن محمدًا رسول الله بعد هذه المناقضة). اهـ

ونقتصر على هذه النقول اختصارًا..

فإذا كفر الحاكم لسبب من الأسباب السابقة أو غيرها من أسباب الردّة، فقد سقطت طاعته ووجب خلعه، فإن كان ممتنعًا بشوكة وقوّة فقد وجب قتاله لخلعه، وذلك لحديث عبادة بن الصامت –رضي الله عنه– قال: (دعانا النبي –صلى الله عليه وسلم– فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا: «أن بايعنا على السمع والطاعة في مَنْشَطِنا ومَكْرهنا وعُسْرِنا ويُسْرِنا وأثرةٍ علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان» متفق عليه. واللفظ لمسلم.

وفي شرح هذا الحديث قال النووي (قال القاضي عياض: «أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل –إلى قوله– فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلا لطاقة وجب عليهم القيام بخلع الكافر ولا يجب في المبتدع إلا إذا ظنّوا القدرة عليه، فإن تحقّقوا العجز لم يجب القيام، وليهاجر المسلم عن أرضه إلى غيرها ويفرّ بدينه) (صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإمارة ج ١٢ ص ٢٢٩). وقال ابن حجر –إذا كفر الحاكم– وملخصه أنه ينعزل بالكفر إجماعًا فيجب على كل مسلم القيام في ذلك) (فتح الباري ١٣/١٢٣).

ونضيف إلى ما ذكره القاضي عياض، أنه إذا عجز المسلمون عن الجهاد فإنه يجب عليهم إعداد القوّة وجوبًا لقوله تعالى {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} الأنفال، وقال ابن تيمية –رحمه الله–: (كما يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوّة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز، فإن ما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب) (مجموع الفتاوي ٢٨/ ٢٥٩). هذا وقد جعل الله سبحانه إعداد العدّة للجهاد فرقانًا بين المؤمن والمنافق وذلك في قوله تعالى: {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} التوبة ٤٧.

واعلم يا أخي أن جهاد هؤلاء الحكّام المرتدين فرض عين على كل مسلم من أهل هذه البلاد المحكومة بغير شريعة الإسلام، وذلك لأن هؤلاء الحكام عدو كافر حل بعقر بلاد المسلمين وهذا من مواضع وجوب الجهاد العيني) (المغني والشرح الكبير ١٠/٣٦٦).

ونّنَبّه على شبهة تطرأ للبعض في هذا المقام، منها ما يقوله حامد أبو النصر مرشد الإخوان (الجهاد لا يكون إلا ضدّ العدو الأجنبي للوطن) جريدة النور ١/٤/١٤٠٧هـ.

فنقول: إنه لا فرق بين أن يكون العدو الكافر أجنبيًا عن البلد أو من أهلها فارتدّ وتسلّط عليها؛ إذ إن علّة وجوب قتاله: الكفر، وليست العلة كونه أجنبيًا أو وطنيًا، فضلًا عن أن الكافر قد صار بكفره أجنبيًا عن المسلمين أهل البلدة وذلك لقوله تعالى: {قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ} هود ٤٦، والذين يفرّقون بين الكافر الأجنبي والوطني كالذي يفرّق بين الخمر المستورد والمحلّي، فلا يخفى أن كلا الخمرين حرام لأن علة التحريم وهي الإسكار ثابتة في الخمرين، وكذلك فإن علّة وجوب القتال ثابتة في الكَافِرَيْن الأجنبي والوطني، بل إن هذا الذي نسميه بالكافر الوطني أغلظ كفرًا لكونه مرتدًّا كما قال ابن تيمية -رحمه الله-: (وكفر الردّة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي) (مجموع الفتاوي ٢٨/٤٧٨). ولأن جهاد هؤلاء الحكام المرتدّين فرض عين، فقد قال ابن حجر (فيجب على كل مسلم القيام في ذلك) (فتح الباري ١٣/١٢٣). ومعنى أن جهاد هؤلاء الحكّام فرض عين أن المتخلّف عنه -بعد علمه بوجوبه- مرتكب لكبيرة، فاسق، وذلك للوعيد الوارد في حق تارك الجهاد العيني كما في قوله تعالى: {إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} التوبة ٣٩.

مما سبق ترى يا أخي المسلم أن كيفية مواجهة هؤلاء الحكّام مقرّرة بالنصّ والإجماع وقد تقرّر وجوب جهادهم، وقال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} الأحزاب ٣٦.

* * * *

الفصل الثاني:

في بيان أن طلب الطواغيت للتنازلات سنة قدرية لا تتبدّل

قال تعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا * وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا * سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا} الإسراء ٧٣-٧٧. وفي هذه الآيات يقول الأستاذ سيد قطب -رحمه الله-:

(يعدّد السياق محاولات المشركين مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأولها محاولة فتنته عما أوحى الله إليه، ليفتري عليه غيره، وهو الصادق الأمين.

لقد حاولوا هذه المحاولة في صور شتى.. منها مساومتهم له أن يعبدوا إلهه في مقابل أن يترك التنديد بآلهتهم وما كان عليه آباؤهم. ومنها مساومة بعضهم له أن يجعل أرضهم حرامًا كالبيت العتيق الذي حرّمه الله. ومنها طلب بعض الكبراء أن يجعل لهم مجلسًا غير مجلس الفقراء.

والنص يشير إلى هذه المحاولات ولا يفصّلها، ليذكر فضل الله على الرسول ي تثبيته على الحق، وعصمته من الفتنة، ولو تخلى عنه تثبيت الله وعصمته لركن إليهم فاتخذوه خليلًا، وللقي عاقبة الركون إلى فتنة المشركين، وهي مضاعفة العذاب في الحياة والممات، دون أن يجد له نصيرًا منهم يعصمه من الله. هذه المحاولات التي عصم الله منها رسوله، وهي محاولات أصحاب السلطان مع أصحاب الدعوات دائمًا. محاولة إغرائهم لينحرفوا -ولو قليلًا- عن استقامة الدعوة وصلابتها. ويرضوا بالحلول الوسط التي يُغْرُونهم بها في مقابل مغانم كثيرة. ومن حملة الدعوات من يفتن بهذا عن دعوته لأنه يرى الأمر هيّنًا، فأصحاب السلطان لا يطلبون إليه أن يترك دعوته كلية، إنما هم يطلبون تعديلات طفيفة ليلتقي الطرفان في منتصف الطريق. وقد يدخل الشيطان على حامل الدعوة من هذه الثغرة، فيتصوّر أن خير الدعوة في كسب أصحاب السلطان إليها ولو بالتنازل عن جانب منها!

ولكن الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق. وصاحب الدعوة الذي يقبل التسليم في جزء منها ولو يسير، وفي إغفال طرف منها ولو ضئيل، لا يملك أن يقف عند ما سلم به أول مرة. لأن استعداده للتسليم يتزايد كلما رجع خطوة إلى الوراء!

والمسألة مسألة إيمان بالدعوة كلها. فالذي يتنازل عن جزء منها مهما صغر، والذي يسكت عن طرف منها مهما ضؤل، لا يمكن أن يكون مؤمنًا بدعوته حق الإيمان. فكل جانب من جوانب الدعوة في نظر المؤمن هو حق كالآخر. وليس فيها فاضل ومفضول. وليس فيها ضروري ونافلة. وليس فيها ما يمكن الاستغناء عنه، وهي كلٌّ متكامل يفقد خصائصه كلها حين يفقد أحد أجزائه. كالمركب يفقد خواصّه كلها إذا فقد أحد عناصره! وأصحاب السلطان يستدرجون أصحاب الدعوات. فإذا سلّموا في الجزء فقدوا هيبتهم وحصانتهم، وعرف المتسلّطون أن استمرار المساومة، وارتفاع السعر ينتهيان إلى تسليم الصفقة كلها!

والتسليم في جانب ولو ضئيل من جوانب الدعوة لكسب أصحاب السلطان إلى صفها، هو هزيمة روحية بالاعتماد على أصحاب السلطان في نصرة الدعوة. والله وحده هو الذي يعتمد عليه المؤمنون بدعوتهم. ومتى دبّت الهزيمة في أعماق السريرة، فلن تنقلب الهزيمة نصرًا!

ولذلك امتنّ الله على رسوله -صلى الله عليه وسلم- أن ثبّته على ما أوحى الله، وعصمه من فتنة المشركين له، ووقاه الركون إليهم -ولو قليلًا- ورحمه من عاقبة هذا الركون، وهي عذاب الدنيا والآخرة مضاعفًا، وفقدان المعين والنصير) اهـ (في ظلال القرآن) ٤/٢٢٤٥ - ٢٢٤٦.

* * * *

الفصل الثالث:

نماذج من الحوار مع الطواغيت وآثاره في طمس معالم الدين

إن الناظر في تاريخ الحركة الإسلامية القريب يرى كيف أن ما تسمى بـ (كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة) وهم الإخوان المسلمون، يرى كيف سقطت هذه الجماعة في فخّ الحوار مع الحكومة بداية من مرشدهم الأول البنا وإلى الآن.

فالبنا كان لا يكفّر الملك فاروق الحاكم بغير ما أنزل الله بل سير مظاهرة من عشرين ألفًا من الإخوان لمبايعة الملك الكافر (مذكرات الدعوة والداعية -المؤتمر العام الرابع- ط المكتب الإسلامي ١٣٩٩ هـ، ص ٢٣٤ - ٢٣٧)، ولما زجَّ الملك بالإخوان في السجون عام ١٩٤٨، لجأ البنا إلى الاسترحام والاستعطاف لا الحوار، فالتقى بالوزير النصراني كريم ثابت باشا رجل الملك -بوساطة الصحافي مصطفى أمين- وقال البنا إن الجماعة انحرفت باشتغالها بالسياسة وأنها تعرض على الملك أن تعود هيئة دينية لا صلة لها بالسياسة وأن تؤيد العرش وتحارب الشيوعية (جريدة مايو المصرية ١٩٨٤/٥/٨ ص ٥). ولم يتم للبنا ما أراده، والنهاية معلومة.

ثم جاء جمال عبد الناصر فاحتوى بعض قادة الإخوان كعبد الرحمن السندي وغيره، وضربهم بعضهم ببعض وفرّق الجماعة، ثم ضربها بعد ما قضى منها حاجته إذ أيدت ثورته في البداية حتى وطَّد أقدامه في البلاد فاستغنى عنهم فضربهم وقتل قادتهم وعذَّبهم عذابًا يفوق التصوّر. (انظر ذكريات لا مذكرات للتلمساني ص ٢٧٧ وما بعدها). وظلّ الإخوان في السجون حتى جاء أنور السادات إلى الحكم، وهنا يقول عبد الحليم خفاجي -أحد الإخوان- في كتابه (عندما غابت الشمس ط١٩٨٣ ص٤٠٣)، قال (إن عمر التلمساني أراد أن يسدّ فجوة عدم الثقة بيننا وبين المسئولين في الدولة، وأن يفتح طريقًا للتفاهم لطرد هذه الصفحة السوداء، فرفع إلى المسئولين عن طريق إدارة السجن مذكرة كبيرة حول أهمية اللقاء المباشر مع من يهمهم الأمر كبديل لهذه الأساليب البربرية، فعل ذلك إعذارًا إلى الله، وتحمَّل بعض العنت من قلّة من الإخوان أبوا هذه الخطوة عليه) اهـ.

ثم خرج الإخوان من السجن وهنا يقول التلمساني: (جاءني في عام ١٩٧٣م فضيلة الشيخ سيد سابق وأخبرني أن السيد أحمد طعمية وكان وزيرًا في عهد السادات جاءه وأخبره أن السادات على استعداد للقاء

بعض الإخوان المسلمين المعروفين لإزالة ما في النفوس والتعاون على خدمة الوطن، وكان ذلك قبل استبعاد الخبراء السوفييت بقليل فرحبت بالفكرة، وذهبت إلى فضيلة المرشد حسن الهضيبي الذي كان في الإسكندرية وأخبرته بحديث الشيخ سيد سابق معي، فقال لي إن الفكرة لا بأس بها إن صحّت النوايا عند أصحابها، وكلّفني أن أستمرّ في المفاوضات) (ذكيات لا مذكرات ص ١١٣ - ١١٤). وهكذا يا أخي حوار فمفاوضات فتنازلات عن المبادئ منها: -

أ- أن أسبغ الإخوان الشرعية على الحكومة الكافرة، يقول مرشدهم أبو النصر (لا نضع أيدينا أبدًا في أيدي القائلين بتكفير الحاكم) جريدة النور ١٤٠٧/٣/٢٤ هـ. وأصدر الشعراوي والغزالي بيانهم المشئوم في ١٩٨٩/١/١، يقولون فيه إنهم يعتقدون (في إيمان المسئولين بمصر وأنهم لا يردّون على الله حكمًا ولا ينكرون للإسلام مبدأً) وقد رددنا على هذا البيان في نشرتنا الرابعة فراجعها، أما الإخوان فقد أيّدوا البيان الذي يعترف بإيمان الحكّام، ولا بد أن يؤيّدوه، كيف لا وقد بايعوا الحاكم المرتد عام ١٩٨٧؟

ب- وأسبغ الإخوان الشرعية على الوسائل الكفرية التي تدين بها الحكومة، فاعترفوا بشرعية الديمقراطية التي تسلب حق التشريع من الله وتمنحه للشعب، ودخلوا مجلس الكفر المسمى بمجلس الشعب، مجلس الأرباب الذين يشرعون للناس، (انظر نشرتنا الخامسة وفيها نقد الديمقراطية وفيها ردّ على فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز بجواز دخول مجلس الشعب)، يقول مرشدهم أبو النصر (نريدها ديمقراطية شاملة وكاملة للجميع) مجلّة العالم ١٩٨٦/٦/١٢، وقال: إن الانتخابات الوسيلة المشروعة للتغيير (مجلّة لواء الإسلام ١٤٠٩/١١هـ ص٥) وقالها من قبله عمر التلمساني (مجلّة الاعتصام ١٤٠٧/٨هـ ص٢٥)، ولأن الديمقراطية تقضي بحق الجميع في إبداء الرأي -دون تفريق بسبب الدين والعقيدة كما يقضي بذلك الدستور في المواد ٤٠ و ٤٧ -فقد قال أبو النصر (لا مانع من وجود حزب شيوعي أو علماني في ظلّ الحكم الإسلامي) جريدة النور ١٤٠٧/٣/٢٤هـ. وأين حدُّ الردّة الواجب إقامته على الشيوعي؟ وأي إسلام هذا الذي يتحدّث عنه الإخوان؟

ج- وترتّب على الحوار والمفاوضات إنكار الإخوان للجهاد (وقد أسموه: العنف والإرهاب)، قال التلمساني (العنف وسيلة العاجزين عن الإقناع) جريدة الجمهورية ١٩٨١/١٢/٢٨، وقال أيضًا: (الإخوان يؤمنون بأن التحوّل عن القوانين الوضعية إلى القوانين الإسلامية لا بد أن يأخذ طريقة المشروع دون عنف أو إرهاب) (ذكريات لا مذكرات ص٣٦). ويقول حامد أبو النصر (لم يحدث أن أقرّ الإخوان استخدام العنف

ضد الحكم) جريدة النور، غرة ربيع الآخر ١٤٠٧هـ، ويقول أبو النصر (لن نأتي إلى الحكم إلا إذا استدعينا لهذا عن طريق الانتخابات) جريدة النور ١٤٠٧/٣/٢٤هـ. وشباب الإخوان المخدوع يعتبر هذه الأقوال من باب (التقية) ولا يدري أن هذا تبديل لأحكام الدين المستقرّة كما بدّل اليهود والنصارى دينهم، وقال -صلى الله عليه وسلم-: (لتتبعنّ سنن من كان قبلكم) متفق عليه. وننصح الشباب بقراءة نشرتنا الخامسة.

د- وترتّب على المفاوضات أن تحوّل الإخوان إلى عملاء للحكومة الكافرة يسبغون الشرعية على حكمها وديمقراطيتها وينكرون على من ينادي بجهادهم، وتحوّل الإخوان إلى طابور خامس يمزّق جسد الحركة الإسلامية بمصر ويصيب الحركة بالتخدير والشلل، وهذا ليس من عندنا بل هو كلامهم، قال مأمون الهضيبي: (إن جود الجماعة يمثل مصلحة للحكومة لأنها تلجأ إلينا كثيرًا لضبط التيار الديني المتطرّف) جريدة الشرق الأوسط ١٩٨٧/٥/١١، وقال التلمساني (أنا على اتصال دائم بأجهزة الداخلية لمساعدتها في ترسيخ الأمن -إلى أن قال- وكان من فضل الله عليّ ما ذهبت إلى كلية ثائرة لأمر من الأمور إلا وعدت موفقًا وكان جهدي موضع شكر المسئولين في وزارة الداخلية -إلى أن قال- وكنت ألتزم الموضوعية البحتة وأدعو إلى ضبط الأعصاب عند الأحداث المثيرة حتى قال لي أحد المعتقلين من أحد الأحزاب في سبتمبر (أيلول) إنني جمدت أعصاب الشباب ووضعتها في ثلاجة) (ذكريات لا مذكرات ط١٩٨٥ ص١٧٥-١٧٦). أي أمن هذا الذي يساعد التلمساني في ترسيخه؟ أهو الأمن الذي يستحل دماء المسلمين ويمزّق أجسادهم؟ أم هو الأمن الذي يسبي النساء المسلمات ويستبيح أعراضهن (ذكريات تقارير منظمة العفو الدولية أن سبعين امرأة مسلمة قد اغتصبن في السجون المصرية لإجبار الرجال الهاربين على الاستسلام ولإجبار المعتقلين على الاعتراف)؟ أم هو الأمن الذي يضع العصى في أدبار الرجال؟ أم هو الأمن الذي يدرّب الكلاب على فعل الفاحشة بالرجال؟ وكل هذا يحدث يا أخي المسلم في سجون فرعون بمصر وعلى أيدي جند فرعون، وأول من حدث لهم كل هذا هم الإخوان المسلمون باعترافهم في كتبهم.

هذه يا أخي هي نهاية سلسلة الحوار والمفاوضات والتنازلات.

وما حدث مع الإخوان يحدث اليوم مع بعض المسجونين في قضية الفنية العسكرية إذ يعرض بعضهم اليوم التنازلات والخيانة ويطلب ودّ الحكومة، فقد طالعتنا الصحف المصرية الصادرة هذه الأيام بخبر يقول (أربعة سجناء من قضية الفنية العسكرية يعلنون أسفهم وهاجموا التطرّف والعنف، وهم حسن السحيمي

ومحمد ياسر السعيد وهاني الغزنواني الذين ينفذون أحكامًا بالأشغال الشاقة المؤبدة، وقالوا إننا نحذر الشباب من خطر المجموعات الأصولية ولا تكرروا أخطاءنا، استشيروا الفقهاء والعلماء ولا تختاروا أي منظمة أصولية. وقال السحيمي: إن الحاكم الذي يمارس الشعائر الدينية ويصوم ويعلن ممارسة الحكم طبقًا لتعاليم الإسلام لا يكون هدفًا للجرم) اهـ.

وهذا الذي حدث في مصر يحدث في بلدان أخرى، ومن هذا ما فعلته حركة الاتجاه الإسلامي بتونس من إسباغ الشرعية على نظام الحكم الكافر، وخداعهم للمسلمين بتونس بإيهامهم أن عداء الإسلاميين كان عداء نحو شخص بعينه (بو رقيبة) لا نحو نظام كافر. قالت مجلّة المختار الإسلامي: (والمجلة ماثلة للطبع طيرت وكالات الأنباء خبرًا كان له أطيب الأثر على نفوس أبناء الحركة الإسلامية.. لقد أطلق سراح الشيخ الجليل والداعية الإسلامي الفاضي الأستاذ راشد الغنوشي رائد حركة الاتجاه الإسلامي بتونس عشية عيد الفطر المبارك وكان العيد عيدين والفرحة فرحتين.

لقد جاء هذا التطوّر بعد وصول رسالة نقلت عن الشيخ عبد الفتاح مورو الأمين العام للحركة والمقيم في الخارج أكّد فيها على ثلاث نقاط:

* الأولى: أن حركة الاتجاه الإسلامي ترفض العنف قطعيًا في برنامجها السياسي وتتمسك بالعمل في إطار الشرعية الدستورية وترغب في المشاركة في الحياة السياسية ضمن ميثاق وطني شامل سع مختلف وجهات النظر على أساس من الاحترام المتبادل والتقيد بالقانون.

* الثانية: أن حركة الاتجاه الإسلامي تعتبر أن تناقضها مع السلطة قد انتهى مع نهاية الرئيس السابق بسبب عداوته الشديدة للإسلام وللحرية كما أنه ليس لديها تحفظات للتعاون مع الرئيس ابن علي لإنجاز شعارات تحول نوفمبر وضمان الاستقرار الوطني الشامل كشرط رئيسي لمواجهة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية في البلاد.

* الثالثة: أن الحركة لا تدعي أبدًا أنها الناطق الرسمي باسم الإسلام ولا تطمع أن ينسب إليها هذا اللقب يومًا ما لأنها تؤمن أن الإسلام دين التونسيين جميعًا ولكنها تعتقد أن ذلك لا يمنع اعتمادها الأرضية

الإسلامية في بلورة برامجها الثقافية والسياسية على أن يظل الشعب حكمًا رئيسيًا بين البرامج المختلفة مثلما يقع الآن في بعض الدول العربية.

وقد درس الرئيس ابن علي الرسالة التي وصلته قبل أكثر من شهر عن طريق شخصية سياسية مهمة دخلت الحكومة في آخر تغيير وزاري، ويبدو أن محاولات بذلت للتحاور في شأنها في تونس مباشرة مع الشيخ الغنوشي، ولكن هذا الأخير اعتذر عن عدم الحوار من داخل السجن لتعذر الإحاطة بالمعطيات الضرورية واستحالة الاتصال ببقية أعضاء قيادة الحركة في الداخل والخارج. لذلك قرّر الرئيس ابن علي إطلاق سراح السيد راشد الغنوشي ويتوقع أن تنطلق في القريب العاجل جولة من المباحثات بينه وبين ممثلين للرئيس شخصيًا) (مجلة المختار الإسلامي ١١/١٤٠٨هـ – ص٩٠). وكما ترى يا أخي فهي نفس القصة: حوار، فاعتراف بالشرعية، وإنكار للجهاد (العنف)، وتمييع أهم قضايا الدين والعقيدة في نفوس المسلمين، ليطول بالمسلمين عصر التيه والذل تحت هيمنة النظم الحاكمة الكافرة، تلك النظم التي أفلحت في احتواء كثير من القيادات الإسلامية.

يقول الأستاذ محمود شاكر صاحب كتاب (التاريخ الإسلامي): (فقد تمكّن الأعداء في الآونة الأخيرة وفي أشدّ الأوقات حاجة إلى المنظمات الإسلامية وإلى القيادات الإسلامية الرائدة التي تمثّل الإسلام وتحمله بصفاء تمكنوا من احتوائها والسير بها في طريقهم المنحرف، وأعلنوا ذلك كي تسقط القيادات، وتسقط المنظمات وبالتالي تسقط المفاهيم التي يحملونها والتي لا تزال معروفة نظريًا لقد اتوى أكثر زعماء منظمة إسلامية في المنطقة العربية، بل بقوا في جعجعة دائمة يظهرون العمل للإسلام زيادة في التمويه على شباب الإسلام والعاملين له، حتى أن أحدهم قد زعم أن الحكم الإلحادي في بلد يعمل للإسلام، ويضم أبناءه، ويحمي حماه وذلك بسبب ارتباطه به، وعمل عدد من الزعماء المنتفعين جبهة من ذلك الحكم الملحد، فأعيد الاعتبار لمن لفظهم الشعب، وأفتي المنتفعون بشرعية العمل مع الملحدين أو ادعوا أن بعض العلماء قد أفتى بذلك زورًا وبهتانًا. وأعلن بعض المغفّلين الذين يبدو عليهم الصلاح عدم صحة مثل هذا العمل فلما تم إصدار نشرة بصحة ذلك شرعًا مقتبسًا بعض النصوص الشرعية، واستشهد بها في غير مكانها، وإيهامًا للشباب ودجلًا، وهذا التصرّف سواء أكان من الأعداء أم من الأدعياء ليستمرّ الخداع، ثم تهوى المنظّمات والدعاة معًا، ويصفو الجو للأعداء. وليس الاحتواء غاية ولكنه وسيلة لأنه ستظهر منظمات جديدة وقيادات

جديدة وستستمر الفكرة في طريقها ولكن الغاية تهديم الأفكار وفضح حامليها مع استمرارية قيادتهم والمناداة بفكرتهم رغم احتوائهم وانقيادهم لغيرهم) (التاريخ الإسلامي، ط المكتب الإسلامي ١٤٠٧هـ، ج ٩، ص٧٠٦).

هذه يا أخي بعض آثار التحوّل والمفاوضات مع الطواغيت، صفقة متبادلة تحصل بعض القيادات الإسلامية على حريتها بالخروج من السجون مع السماح لها بشيء من النشاط في مقابل بيع قضية الإسلام للطواغيت إذ تقوم هذه القيادات الإسلامية المفتونة بلبس الحق بالباطل وتقول للناس إن هذه الحكومات مسلمة وإن الديمقراطية هي الشرعية وهي وسيلة التغيير المشروعة الوحيدة وأن الإسلام ينكر العنف (أي الجهاد)، وكان هذا ضلالًا مبينًا.

وعن تمييع حقائق الدين يقول الأستاذ سيد قطب -رحمه الله-: (وهذا التمييع هو أخطر ما يعانيه هذا الدين في هذه الحقبة من التاريخ، وهو أفتك الأسلحة التي يحاربه بها أعداؤه، الذين يحرصون على تثبيت لافتة «الإسلام» على أوضاع، وعلى أشخاص، يقرّر الله سبحانه في أمثالهم أنهم مشركون لا يدينون دين الحق، وأنهم يتخذون أرابًا من دون الله.. وإذا كان أعداء هذا الدين يحرصون على تثبيت لافتة الإسلام على تلك الأوضاع وهؤلاء الأشخاص، فواجب حماة هذا الدين أن ينزعوا هذه اللافتات الخدّاعة، وأن يكشفوا ما تحتها من شرك وكفر واتخاذ أرباب من دون الله.. {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}) [في ظلال القرآن ١٦٤٣/٣].

وبعد ذكر النماذج السابقة للحوار وبيان آثاره المدمرة على الإسلام وعلى مستقبل المسلمين، نقول:

إن الحكومة الكافرة بمصر قد حصلت على اعتراف بشرعيتها من كافة الجبهات المعارضة لها بما في ذلك الإخوان المسلمون باستثناء جبهة واحدة وهي الجماعات الجهادية (المتطرفة بزعمهم) هذه هي الجبهة التي لا تعترف بشرعية الحكومة وتَصِمُها بالكفر والردة، وقد حاربت الحكومة جماعات الجهاد بكل ما تملك من السجن والتعذيب، والقتل والتشريد، وسبي النساء واغتصابهم، وقطع الأرزاق، وندوات الرأي التي حشدت فيها الحكومة عشرات من عمائم السوء -ولا نقول علماء- بدءًا من شيخ الأزهر إلى أئمة المساجد، وأطلقت الحكومة الحرية للإخوان للمشاركة في الانتخابات لإسباغ الشرعية على الحكومة وأنظمتها. إلا أن

كل هذا لم يفلح في وقف المدّ الجهادي. ولم يبق أمام الحكومة إلا اتباع سياسة الحوار والمفاوضات والاحتواء لبعض قيادات الجهاد ساعية في هذا بالمكر والخديعة واللين تارة وبالإرهاب تارة أخرى. فهل ستنجح الحكومة في هذا وهل ستسقط بعض قيادات الجهاد كما سقط غيرها من قبل؟ نعوذ بالله تعالى من الخذلان، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا وسائر المسلمين على صراطه المستقيم حتى نلقاه سبحانه غير مبدّلين ولا مفرّطين.

* * * *

الفصل الرابع:

تحذير المسلمين من الحوار مع الطواغيت

ذكرنا في الفصل الثالث أمثلة لبعض الاتجاهات تفاوضت مع الطواغيت باسم الإسلام بما أدّى إلى طمس معالم الدين وإسباغ الشرعية على أنظمة الكفر، وفي هذا الفصل نذكر عدّة مسائل لتحذير المسلمين من الوقوع في هذه الهاوية.

وهذه المسائل هي: البراءة من الطواغيت ومعاداتهم ركن التوحيد، وبطلان مهادنة المرتدّين، وبطلان ولاية الأسير، والتحذير من التقليد الأعمى.

أولًا: البراءة من الطواغيت ومعاداتهم ركن التوحيد.

اعلم أن إيمان المرء لا يصح إلا بالكفر بالطاغوت مع الإيمان بالله، فمن آمن بالله ولم يكفر بالطاغوت ولم يتبرأ منه لم يصحّ يمانه، وذلك لقوله تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا} البقرة ٢٥٦، فلا بد من الأمرين لصحة الإيمان، الكفر بالطاغوت (وهذا شق النفي) والإيمان بالله (وهذا شق الإثبات) وهذا هو معنى لا إله إلا الله (نفي وإثبات).

وقد ورد الأمر بالكفر بالطاغوت صريحًا في قوله تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ} النساء ٦٠، ويدخل في مسمى الطاغوت الحكام المرتدون وأنظمتهم الكفرية، هذه يجب على المسلم الكفر بها والبراءة منها لا التفاوض معها، والاعتراف بشرعيتها مما يناقض التوحيد.

ونحن -بحول الله وقوته- نعلن كفرنا بهذه الطواغيت وبراءتنا منها وندعو المسلمين إلى الاستمساك بهذه العروة الوثقى التي هي ملة إبراهيم عليه السلام وسائر الأنبياء، كما قال تعالى {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} الممتحنة ٤، يقول الشيخ حمد بن عتيق النجدي -رحمه الله-: (وها هنا نكتة بديعة في قوله: {إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} وهي أن الله تعالى قدم البراءة من المشركين العابدين غير الله، على البراءة من الأوثان المعبودة من دون الله؛ لأن الأول أهم من الثاني؛ فإنه قد يتبرأ من الأوثان ولا يتبرأ ممن عبدها، فلا يكون آتيًا بالواجب عليه، وأما إذا تبرأ من المشركين، فإن هذا

يستلزم البراءة من معبوداتهم. وهذا كقوله تعالى: {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا}. فقدم اعتزالهم على اعتزال معبوداتهم، وكذا قوله: {فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} وقوله {وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ}. فعليك بهذه النكت، فإنها تفتح بابًا إلى عداوة أعداء الله، فكم من إنسان لا يقع منه الشرك، ولكنه لا يعادي أهله، فلا يكون مسلمًا بذلك إذ ترك دين جميع المرسلين).

ثم قال: {كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} فقوله: {بدا} أي ظهر وبان، وتأمل تقديم العداوة على البغضاء؛ لأن الأولى أهم من الثانية، فإن الإنسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم، فلا يكون آتيًا بالواجب عليه حتى تحص منه العداوة والبغضاء، ولا بد أيضًا من أن تكون العداوة والبغضاء باديتين ظاهرتين بينتين.

واعلم أنه وإن كانت البغضاء متعلّقة بالقلب فإنها لا تنفع حتى تظهر آثارها، وتتبين علاماتها، ولا تكون كذلك حتى تقترن بالعداوة والمقاطعة، فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين. وأما إذا وجدت الموالاة والمواصلة، فإن ذلك يدلّ على عدم البغضاء فعليك بتأمل هذا الموضع فإنه يجلو عنك شبهات كثيرة. اهـ) (مجموعة التوحيد –ط دار الفكر ١٩٧٩م – ص٣٧٦ – ٣٧٨).

هذه يا أخي هي ملة إبراهيم عليه السلام، وقال تعالى: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} النحل ١٢٣، واتباعك لهذه الملّة يوجب عليك:

أ- البراءة من الحكام الكافرين وأعوانهم.

ب- البراءة من قوانينهم الوضعية بما فيها الاشتراكية والديمقراطية وسائر كفرهم.

ج- إظهار العداوة لهم وهذا يكون بكشف كفرهم للناس وتسفيه رأيهم ودينهم الكفري، وحضّ الناس على عداوتهم وكراهيتهم، وقتالهم حتى يكون الدين كله لله.

فأين هذه البراءة يا أخي من الحوار مع الطواغيت ومدّ الجسور معهم؟ لا شك أن هذا الحوار يناقض التوحيد مناقضة تامة.

ثانيًا: بطلان مهادنة المرتدين.

يحاول البعض تمرير مسألة الحوار والتفاوض مع الطواغيت تحت اسم الهدنة مع الكفار وأن هذا جائز لمصلحة الإسلام، وفي هذا مغالطة فقهية يا أخي المسلم، فالفقهاء فرّقوا بين أصناف الكفار في جواز المهادنة والصلح.

فالكفار إما أنهم كفار أصليون (أي لم يكونوا مسلمين من قبل) كأهل الكتاب والوثنيين، وإما مرتدون (وهم من ثبت لهم حكم الإسلام من قبل). والحكام الذين نتحدث عنهم يدخلون تحت الصنف الثاني، فهم مرتدون، والمرتد لا يهادن بخلاف الكافر الأصلي.

قال الماوردي -رحمه الله- في الأحكام السلطانية ص ٥٧ (فأما ما تفارق به -أي دار الردة- دار الحرب -أي الكفار الأصليين- فمن أربعة أوجه: أحدها أنه لا يجوز أن يهادنوا على الموادعة في ديارهم ويجوز أن يهادن أهل الحرب، والثاني: أنه لا يجوز أن يصالحوا على مال يقرون به على ردتهم ويجوز أن يصالح أهل الحرب..) اهـ. وللقاضي أبي يعلى مثله (ص٥٣).

والسبب في هذا يا أخي أن المرتد كفر بعد إسلامه، فكفر عن بصيرة وعن علم بما كفر به، فكانت جريمته أعظم من الكافر الأصلي، ولذلك قال ابن تيمية -رحمه الله-: (وكفر الردّة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي) (مجموع الفتاوي ٤٧٨/٢٨)، وقال ابن تيمية أيضًا: (وقد استقرّت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعدّدة، منها أن المرتد يُقتل بكل حال، ولا يُضرب عليه جزية، ولا تُعقد له ذمة، بخلاف الكافر الأصلي. ومنها أن المرتد يُقتل وإن كان عاجزًا عن القتال، بخلاف الكافر الأصلي الذي ليس هو من أهل القتال، فإنه لا يُقتل عند أكثر العلماء كأبي حنيفة ومالك وأحمد، ولهذا كان مذهب الجمهور أن المرتد يُقتل كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد. ومنها أن المرتد لا يرث ولا يناكح ولا تؤكل ذبيحته، بخلاف الكافر الأصلي. إلى غير ذلك من الأحكام) (مجموع الفتاوي ٥٣٤/٢٨).

مما سبق تعلم يا أخي المسلم أن مهادنة الحكام المرتدين أو مصالحتهم لا تجوز شرعًا. من كان قادرًا على قتالهم فليقاتل، ومن عجز فَلْيُعِدّ العدة، قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} الأنفال ٦٠، قال ابن

تيمية –رحمه الله– (كما يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز، فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) (مجموع الفتاوي ٢٥٩/٢٨).

ثالثًا: بطلان ولاية الأسرى.

لعلك لاحظت يا أخي المسلم أن نماذج الحوار المذكورة في الفصل الثالث بدأت والطرف الإسلامي في السجن، أسيرًا في أيدي الطواغيت، والأسير ساقط الولاية شرعًا، أي أنه لا ولاية له –في شرع الله تعالى– على العمل الإسلامي ولا على غيره من العاملين للإسلام أو غيرهم، ولأن الأسير ساقط الولاية شرعًا فإنه لا يملك التفاوض مع العدو –هذا إذا جاز التفاوض– كما أنه لا يملك حق السمع والطاعة على أتباعه، وكيف يتفاوض الأسير وهو في قبضة عدو غالب يعذّبه ويستجوبه ويستبيح حرماته كلما شاء؟ هذه اسمها شروط العدو لفك الأسير أو شروط الاستسلام، لا المفاوضات.

واعلم يا أخي المسلم أنه لا خلاف بين أهل العلم في أن الأسير الميؤوس من لخاصه من أيدي الكفار أنه لا تجوز ولايته –عقدًا واستدامة– لنقص تصرفه بالقهر، قال القاضي أبو يعلى: (فإن صار مأسورًا في يد عدو قاهر لا يقدر على الخلاص منه، منع ذلك من عقد الإمامة له لعجزه عن النظر في أمور المسلمين، سواء كان العدو مسلمًا باغيًا أو كافرًا، وللأمة فسحة في اختيار من عداه من ذوي القدرة)، وقال أبو يعلى أيضًا: (فإن أُسِرَ بعد أن انعقدت له الإمامة فعلى الأمة استنقاذه، لما أوجبته الإمامة من نصرته، وهو على إمامته إذا كان يرجى خلاصه ويؤمَّل فكاكه إما بقتال أو فداء، وإن وقع الإياس منه نظرت فيمن أسره، فإن كان من المشركين خرج من الإمامة واستأنف أهل الاختيار بيعة غيره) (الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص٢٢) وللماوردي مثله (ص٢٠).

وكما تبطل ولاية الأسير فكذلك يبطل عهده إلى غيره بالولاية من بعده إذا عهد بها بعد الإياس من خلاصه، قال أبو يعلى: (فإن عهد بالإمامة في حالة أسره، نظرت، فإن كان بعد الإياس من خلاصه لم يصح عهده لأنه عهد بعد خروجه من الإمامة، وإن كان قبل الإياس من خلاصه صحّ عهده لبقاء إمامته، استقرّت إمامة ولي عهده بالإياس من خلاصه لزوال إمامته) (الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص٢٢) و (الماوردي مثله) (ص٢٠).

مما سبق تعلم يا أخي أن مهادنة المرتدين غير جائزة وأن الأسرى الذين –غالبًا– ما يتصدّون للتفاوض مع الطواغيت لا ولاية لهم شرعًا على غيرهم من أبناء الحركة الإسلامية.

رابعًا: التحذير من التقليد الأعمى.

تقليد الآباء والأسلاف والكبراء بغير دليل أو بخلاف الدليل الشرعي هو من أسباب كفر الكافرين وضلال الضالين من الأولين والآخرين قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} لقمان ٢١. والباعث على هذا التقليد هو التعصّب للكبراء مع تعظيمهم وعدم تصوّر وقوع الخطأ منهم.

والمقصد من هذا هو الموضوع الذي نحن بصدده وهو تحذير المسلمين من متابعة بعض القيادات الإسلامية في تحريفها للدين وتمييع معالمه إرضاءً للطواغيت. ويجب على كل مسلم أن يقدم موالاة الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم– على موالاة الناس وأن تكون الثانية تابعة للأولى كما قال تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} المائدة ٥٥. كما يجب على كل مسلم أن يدرك تمامًا أنه لا أحد معصوم من هذه الأمة بعد الرسول –صلى الله عليه وسلم– أن المرء قد ينقلب على عقبيه ويرتدّ بعد إسلامه، وقد صحب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أقوامٌ ثم ارتدّوا بعد وفاته وهذا هو القدر الغالب كما قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– (فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) متفق عليه عن ابن مسعود –رضي الله عنه–.

وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (لا تعجبوا بعمل أحد حتى تنظروا بما يُختم له، فإن العامل يعمل زمانًا من دهره أو برهة من دهره بعمل صالح لو مات دخل الجنة ثم يتحوّل فيعمل عملًا سيئًا، وإن العبد ليعمل زمانًا من دهره لو مات دخل النار ثم يتحوّل فيعمل عملًا صالحًا، فإذا أراد الله بعبد خيرًا

استعمله قبل موته فوفقه لعمل صالح) رواه أحمد عن أنس -رضي الله عنه-، قال الألباني إسناده صحيح (السنة لابن أبي عاصم ١/١٧٤).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: (إنما الأعمال بالخواتيم) متفق عليه. لذلك يا أخي فإن الحي لا تُؤمن عليه الفتنة؛ لأنه قد ينقلب على عقبيه بعد حين، وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-: (لا يقلدن أحدكم دينه رجلًا إن آمن آمن وإن كفر كفر، فإنه لا أسوة في الشر) (أعلام الموقعين ٢/١٧٦).

ولقد ضرب الله لنا مثلًا لعالم انقلب على عقبيه وكفر بعد إيمانه، تحذيرًا لنا من فتنة التقليد الأعمى والتعصّب، هذا المثل في قوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ} الأعراف ١٧٥ - ١٧٦.

فتعلم دينك يا أخي واعرف الحق تعرف أهله وتعرف من يحيد عنه كي تنكر عليه (من رأى منكرًا فليغيره)، ولا تكن إمعة تسير خلف قيادتك كيفما سارت فربما انحرفت القيادة فعليك بالنصح والإنكار، ولا تغلق عقلك عن التفكير وعن التمييز بين الحق والباطل، فإن قومًا أغلقوا عقولهم فكان مصيرهم إلى النار، كما قال تعالى: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ} الملك ١٠-١١.

* * * *

الفصل الخامس:

متى نصر الله؟

ذكرنا في الفصل الثاني من هذه النشرة أن طلب الكافرين للتنازلات من دعاة الحق سنة قدرية لا تتبدل، ومع ذلك فإن طلب التنازلات ما هو إلا مرحلة، لأن الكافرين لن يهدأ لهم بال إلا بتنازل المؤمنين تنازلًا كاملًا عن الحق والعودة في ملة الكافرين ومناهجهم وأنظمتهم، كما قال تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} البقرة ١٢٠، وقال تعالى: {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً} النساء ٨٩.

وفي سبيل هذا فإن الكافرين لا يدخرون جهدًا لإرغاء المؤمنين على التنازل الكامل بدءًا من السجن إلى القتل والقتال كما قال تعالى: {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} -ثم يأتي الوعيد الإلهي لمن يخضع له- {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} البقرة ٢١٧، ومثل هذه الآية قول الله تعالى: {إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا} الكهف ٢٠، أي أن الكافرين في حال ظهورهم وقوتهم لن يقبلوا من المؤمنين إلا العودة في ملتهم الكافرة وإلا فالرجم والقتل، مع ذلك جاء أيضًا الوعيد الإلهي لمن يخضع لهم ويعود في ملتهم {وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا} ومثل هذه الآية أيضًا قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ} إبراهيم ١٣-١٤، نفس السنة القدرية: لم يقبل الكافرون من الرسل إلا العودة في ملة الكفر وإلا فالإخراج والطرد والنفي والسجن وكلها بمضمون واحد، ولما كان التنازل أمرًا غير وارد عند الرسل عليهم السلام بل الثبات على الحق فهناك أهلك الله الكافرين واستخلف في الأرض المؤمنين أهل خشية الله تعالى، وهذه هي سنة الاستخلاف القدرية لكل من رفض التنازل وثبت على دينه الحق خشية من غضب الله تعالى وإيثارًا لما عند الله تعالى من أجر الصابرين، هنا يتنزل النصر {وما النصر إلا من عند الله} ويثمر النصر الاستخلاف والتمكين في الأرض {وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} الروم ٦.

وللأستاذ سيد قطب –رحمه الله– كلام طيب –في الآيات السابقة– فيقول في قول الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا}!

(هنا تتجلى حقيقة المعركة وطبيعتها بين الإسلام والجاهلية.. إن الجاهلية لا ترضي من الإسلام أن يكون له كيان مستقل. ولا تطيق أن يكون له وجود خارج عن وجودها. وهي لا تسالم الإسلام حتى لو سالمها فالإسلام لا بد أن يبدو في صورة تجمع حركي مستقل بقيادة مستقلة وولاء مستقل، وهذا ما لا تطيقه الجاهلية. لذلك لا يطلب الذين كفروا من رسلهم مجرّد أن يكفوا عن دعوتهم، ولكن يطلبون منهم أن يعودوا في ملتهم، وأن يندمجوا في تجمعهم الجاهلي، وأن يذوبوا في مجتمعهم فلا يبقى لهم كيان مستقل. وهذا ما تأباه طبيعة هذا الدين لأهله، وما يرفضه الرسل من ثمَّ ويأبونه، فما ينبغي لمسلم أن يندمج في التجمع الجاهلي مرة أخرى..

وعندما تسفر القوة الغاشمة عن وجهها الصلد لا يبقى مجال لدعوة ولا يبقى مجال لحجة، ولا يسلم الله الرسل إلى الجاهلية..

إن التجمع الجاهلي –بطبيعة تركيبه العضوي– لا يسمح لعنصر مسلم أن يعمل من داخله، إلا أن يكون عمل المسلم وجهده وطاقته لحساب التجمع الجاهلي، ولتوطيد جاهليته! والذين يُخيل إليهم أنهم قادرون على العمل من خلال التسرّب في المجتمع الجاهلي، والتميّع في تشكيلاته وأجهزته هم ناس لا يدركون الطبيعة العضوية للمجتمع. هذه الطبيعة التي تزعم كل فرد داخل المجتمع أن يعمل لحساب هذا المجتمع، ولحساب منهجه وتصوّره... لذلك يرفض الرسل الكرام أن يعودوا في ملة قومهم بعد إذ نجاهم الله منها...

وهنا تتدخل القوة الكبرى فتضرب ضربتها المدمّرة القاضية التي لا تقف لها قوة البشر المهازيل، وإن كانوا طغاة متجبّرين: {فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ}. ولا بد أن ندرك أن تَدَخُّل القوة الكبرى للفصل بين الرسل وقومهم إنما يكون دائمًا بعد مفاصلة الرسل لقومهم... بعد أن يرفض المسلمون أن يعودوا إلى ملة قومهم بعد إذ نجاهم الله منها.. وبعد أن يصروا على تميزهم بدينهم وبتجمعهم الإسلامي الخاص بقيادته الخاصة. وبعد أن يفاصلوا قومهم على أساس العقيدة فينقسم القوم الواحد إلى أمتين مختلفتين عقيدة ومنهجًا وقيادة وتجمعًا... عندئذ تتدخّل القوة الكبرى لتضرب ضربتها الفاصلة، ولتدمّر على الطواغيت الذين يتهددون المؤمنين، ولتمكن للمؤمنين في

الأرض، ولتحقق وعد الله لرسله بالنصر والتمكين.. ولا يكون هذا التدخّل أبدًا والمسلمون متميعون في المجتمع الجاهلي، عاملون من خلال أوضاعه وتشكيلاته، غير منفصلين عنه ولا متميّزين بتجمع حركي مستقل وقيادة إسلامية مستقلّة) اهـ (في ظلال القرآن) ٢٠٩٢/٤.

ولقد قال الرجل فصدق وعمل بما قال، وأبى أن يكتب كلمة واحدة يقرّ فيها للكافرين بالشرعية، ومضى إلى ربه صابرًا محتسبًا، فاللهم ارحمه رحمة واسعة، آمين.

هذه يا أخي حقيقة الصراع، فلتكن منه على بيّنة، واصبر لحكم ربك، واثبت على أمره فإن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرًا.

قال تعالى: {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ * لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} يوسف ١١٠-١١١.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إصدار (جماعة الجهاد)

الطبعة الأولى في شوال ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

الطبعة الثانية في جمادى الثانية ١٤١٢هـ - ديسمبر ١٩٩١.

نصيحة

هذه النشرات يا أخي المسلم تحتوي على علم نافع بإذن الله تعالى، فنحن لا نذكر قولًا إلا مؤيدًا بالأدلة الشرعية ولله الفضل والمنة، ونريدك أن تلتزم بهذا المنهج حتى لا يخدعك قطاع الطريق إلى الله باسم الدعوة إلى الله. فاجتهد يا أخي أن تنشر هذه النشرات بين إخوانك ومعارفك وسائر المسلمين عملًا بوصية النبي –صلى الله عليه وسلم–: (بلّغوا عني ولو آية) رواه البخاري، وقال –صلى الله عليه وسلم–: (ألا ليبلّغ الشاهد الغائب) متفق عليه. فتكون قد حزت يا أخي ثواب نشر العلم، وقد قال –صلى الله عليه وسلم–: (من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله) رواه مسلم، وقال –صلى الله عليه وسلم–: (لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم) متفق عليه. واعلم يا أخي أن نشرك لهذه النشرات هو جهاد في سبيل الله تعالى، فقد قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وجزى الله كل من ساهم في نشر هذه النشرات خيرًا كثيرًا، آمين.